

الفصل الثالث عشر

هجومات العدو التعرضية على كنزان

صارت الآن (كنزان) في قبضتنا وتلاها بعد قليل (شوانجتشنشان) وضواحيها وكانت أعلامنا تخفق متخللة الدخان على رؤوس قوائنا المحتلة الآن لهذه المواقع التي كانت أصوات لصرها ترن في الرياح كالصواعق وكانت (شوانجتشنشان) هذه مهمة مثل (كنزان) ولذا كان لا يلزم أن كلا من هذين الموقعين يكون في قبضة العدو وبما أن (شوانجتشنشان) كانت غير قوية الاستحكام لم يمكن للروسين أن يقاومونا بها كثيرا فوقعت غنيمة باردة لنا كالمثل القديم المتبع « عند ما تخاف وزه يختل خط الوز جميعه وعند ما يتقهقر بلوك ينهزم جميع الجيش » حقا عند ما فقد الروسيون (كنزان) التي كانوا يتكلمون عليها كثيرا سقطت (شوانجتشنشان) كوراة شجرة ميتة وصارت (هسياوينجياؤ) ملكنا وهذه جزيرة موجودة في يسار (شوانجتشنشان) وكما ذكرت سابقا ظهرت البواخر الروسية في هذه الضواحي وهاجمتنا من الجنب وهذه المحاولة كانت لخرق جانبنا بحربة حادة مؤثرة جدا ولكن دونتمنا ردت هذه البواخر على أعقابها الى بورت ارثور ولكنها كانت ترجع لا تلاقى قنابلها علينا كلما سمحت لها الفرص بذلك ففي أثناء واقعة يوم ٢٦ كان يوجد ثلاثة أو أربعة بوادر مدفعية للعدو في هذه الضواحي وهي عافت كثيرا مهاجمتنا على (كنزان) و (شوانجتشنشان) ولذا أمر الجناح

الايسر لقولنا الايسر بان يستولى على هذه الجزيرة وعليه صارت بعد قليل داخل دائرة احتلالنا وبذلك صار جميع خط أول مدافعة العدو وحول بورت ارثور تحت علمنا

ولما كان كل قسم من جيشنا ناجحاً في هجومه يوم ٢٦ كانت النتيجة ذات فائدة عظيمة إذ صرنا في موقع مرتفع ينظر منه الى اسفل الى حركات العدو وهو بنفسه الذي كان يتجسس منه العدو أعمالنا وحركاتنا ولذا فانه ليس من الغريب أن الروسيين حاولوا أن يسترجعوا هذا الموقع المفيد ويقال أن القائد (استوسل) أمر جميع جيشه أن يسترجع (كنزان) مهما كلفتهم من الخسائر اذ انه لاغنى عنها للمدافعة عن بورت ارثور وهذا كان شيئاً لازماً طبيعياً لهم أما نحن اليابانيين فقد عزمنا على أن لا نعطيهم هذا الموقع مهما كانت درجة هجومهم التعرضي ومهما بلغت حيالهم الحرية فاذا كانوا مستعدين لتضحية كبرى فنحن كذلك فيما أيها الروسيون البواسل تقدموا وهاجمونا مرتين أو ثلاثة ان كنتم راغبين في التدمر بعد وما علموا أن لهم في كل مكان ثعلبة

وكانت شمس نهار الصيف الطويل قد غربت وقد ملأ ضوء مستور بظلام السماء والارض بعد الموقعة وهواء سخن رديء يكس الحشائش اللوثة بالدماء وهكذا ضوضاء المحاربة التي حصلت من مدة قصيرة تبعها سكون مرهب ما عدا بعض طلقات بنادق متفرقة كان يسمع صوتها الجبان وهذا كان اطلاق نيران العدو الهارب خوفاً وكانت ذلك تسلياً لنا وفي الحال انكست قمم الجبال نعيم فصار جميع السماء سوداء في لحظة واتبع ذلك

البرق والرعد مصحوبين بنقط مطر تتساقط كالرصاص وكأن الطبيعة كانت تعيد منظر اليأس الدموي الذي اجريناه من زمن قصير أما هذه المحاربة الطبيعية فكانت أصعب على رجالنا اذ كان لا يوجد عندهم اشجار للوقاية منها وكان منظرهم كالغيران المبللة في الماء ولقد أمضينا تلك الليلة فوق هذا الجبل معرضين الامطار صاغين الى صهيل الخيول في الاسفل ومن المعتاد أن الواقعة العنيفة يتبعها ربح شديد أو مطر فلما كانت الواقعة في معمتها اسودت السماء بدخان البارود فكان المنظر جميعه مظلماً وخيفاً وفي الحال جاءت أمطار غزيرة ورعود مصممة لتنظيف الميدان من جميع الاوساخ وهذا المطر يسمى بكاه سرور المنصورين ومطر غم المغلوبين وهو أيضاً دموع الحزن على رفاقنا المقتولين ولما كان من المحقق ان الليلة ذات العواصف مثل هذه يستعملها العدو لرد الموقع المفقود كنا على غاية الاحتراس لا كما يتصور العدو نقصف الرعد وهطول المطر كل هذا لا يجعلنا أقل انتباهاً ركنا كل مرة زادونا مستعدين لردهم خائنين من الباب شاكرين لهم زيارتهم بدون جدوى وكنا كلما نخل مكانا كان حرسنا الساهر ينتشر حوله مستعداً لمقاومة مفاجآت العدو التعرضية في أى لحظة وهذا ما نسميه شد رباط القبة في النصر

وبعد مضي سبعة أيام من استيلائنا على (كنزان) و (شوانجتشان) ابتداء العدو هجومه التعرضي في منتصف يوم ٣ يوليو وكأنهم كانوا يحاولون استرجاع (كنزان) فهراً اذ نحو ٨٠٠ أو ٩٠٠ من بيادتهم كانوا يتقدمون بسرعة نحو (وانجشياتون) وأخذت طاه بجيتهم موقعا في (تاشيتونج)

وضواحيها وابتدأت تطلق علينا نيرانها بنشاط زائد ولما كنا نحن منتظرين ذلك صوبنا مدافعنا وبنادقنا عليهم أمامهم فكانوا في غاية اليأس إذ كانوا يندفعون الى الامام رغما عن أمطار رصاصنا هذه ولكن نيراننا كانت كثيرة عليهم ولذا كانوا يقومون كصفوف الدبابيس تسعة تسعة والضابط الذي كان يتقدمهم وهو يهز سيفه الطويل مرتقا في الهواء مندفعاً نحونا بكل شدة ونم أيضاً في كل طلقة (طابور أنش) منا كانوا يقومون كأوراق الخريف عند ما يهزها الريح وبعد أن فكر العدو أنه غير قادر على ان يقابلنا ركن الى الفرار في الاودية بدون نظام للمرة فتقهقرت البيادة أما البطارية فانها لم تسكت بسهولة بل استمرت على اطلاق قنابلها على وسطنا بعنف ومن المحتمل أن رؤية البيادة المتقهقرة أفقدت الطويجية شجاعته إذ قلت ضوءاء الطاق حتى بعد زمن قصير سكن جميع خط القتال كأنه حلم فنهتفنا (بانزى) مراراً

وهكذا محاولة العدو الاولى لاسترجاع كيزان لم تنجح ولما كان الروسيون مصممين على استرجاع المواقع المفقود ظهر عدد مماثل منهم الاول بعد قليل من هذا الانهزام في جهة (تايوشان) وكانت تصدح الموسيقى بقوة وقربوا من خطنا الاول ولما صارت المسافة بين الفريقين - بمائة أو ثمانمائة متر فقط انفتحوا الى صورة طابور صارخين (وولا) عالياً قاذفين بأنفسهم نحونا ببسالة متشجعين بأصوات الابواق والترومبيتات فقابلناهم بنار شديدة وسريعة قاتلين كلا من المتقدمين والمتقهقرين منهم مما حتى أن أحد أقسامنا تبعهم فكان ذلك صعباً على العدو الذي ولى الادبار راجعاً نحو (تايوشان) ورغماً

عن الحقيقة البينة وهي أنه من المستحيل عليهم أن يهزمونا فانهم كانوا يكررون
 المهاجمة مرة بعد الاخرى مقدمين ضحايا من رجالهم كل مرة عازمين
 عزماً أكيداً على استرجاع (كنزان) واصرارهم هذا مما كان يجعلنا نوجب
 بهم وبكونهم أهلاً لحق الان يكونوا دولة كبرى وكان نحن عندنا روح اياما تود اياها
 الامينة الشجاعة لهم بساكنهم العظمى الخاصة بالجنس (السلافي) فزئير النمر
 يسبب وجود الزوابع وتنفس الدراجون (حيوان خرافي) يجمع الغيوم في
 السماء فكل من الفريقين المتحاربين له عدو اهل لان يظهر له قوته

وفي الساعة ١ بعد منتصف الليل من اليوم الثاني أعني يوم تقدم العدو
 تحت جنح الظلام وفاجأنا ونحن على (كنزان) بنشيم مستقفل وكانت هذه
 الحركة بسرعة وحذافة بكيفية بحيث انه لم نزعج شجرة أو حجر وتساقوا
 المرتفع بدون غافة وقتلوا ديدنا (خفيراً) فجأة وانحدروا الى داخل
 معسكرنا بجمع كثيف مهللين رافعين سيوفهم وهازين بنادقهم فاختلفنا
 وحاربنا محاربة يأس وكان الظلام حالاً كما ولدنا لم يمكننا معرفة الصديق من
 العدو بل الشيء الوحيد الذي كنا نستطيع عمله هو القمع أو الطعن على قدر
 الامكان بدون معرفة نحو من وكذا كنا لا نستطيع رؤية أي شيء بل
 كنا نسمع ونشعر بسقوط عدونا الثقيل على الارض وهذه مرة أخرى
 كان دفاعنا فيها شديداً على هذه القوة المهاجمة التي نزلت التل متقهقرة بخيبة
 ولكن بنظام وكنا جميعاً معجبين بساكنهم ومنيتهم الثابتة حتى ان الذين
 تركوا مجروحين بالخلف كانوا يقاومونا بالبندقية أو السيف وخصوصاً احدى
 فقد كان مجروحاً جروحاً بليغة وبينما هو على باب الموت اذ رفع رأسه وثبسم

ابتسامة حزم وحذر

ولما خاب تصميم مفاجأتهم المرسوم، فهمنا أنهم يئسوا ولربما لا يكون عندهم الآن أدنى فكر في مهاجمتنا ثانية ولكن بسكس ستظارا كانوا معلقين الامل في غرض حصولهم على (كنزان) ثانياً بأي واسطه ففي فجر اليوم نفسه جروا هجوماً مفتوحاً بقوة عظيمة وهذه المهاجمة كانت عنيفة خصوصاً وقد أظهروا في هذه المرة حزمًا أكثر من قبل واستمرت طويليتهم على اطلاق النار علينا وتقدمت بآداتهم مستورة تحت أيراتها وكان عدد جنودهم في الخط الأول يزايد باستمرار وكأهم كانوا عازمين على نزع (كنزان) منا مهما كلفهم ذلك ورغما عن موقعنا الحصين وعن تجربتنا في رد العدو صراراً على أعقابهم فليس بالسهل هزيمة هذا الجيش الكبير ولكننا زدنا عدد رجالنا وقوينا استحكامنا على قدر الامكان منتظرين هجوماً مثل هذا فيظن أن هذه الموقعة تكون هائلة كهجومنا على (كنزان) وكانت طويحية العدو تزداد قوة كل ساعة واحتلت الارتفاعات الموصلة بين (وانجشياتون) و (ماوناؤكو) و (انزولنج) وهلم جراً أما قوتهم الاصلية فكانت موجهة نحو (كنزان) والى موقع بيادتنا عموماً وكانوا يرمونا بقنابل الشراذيل (التي تنفجر في الهواء) بنشاط جداً حتى أنهم برهنوا أنهم من أحسن النشانية وكانت مقدوفاتهم تقع بيننا بدون انقطاع دقيقة واحدة كطير غزيراً ما بيادتنا وطويبيتنا فكانتا انطفاان طلقاهما سريعاً وحاولا بشدة أن ينعما العدو من الاقتراب عازمين بنا على أنه لا يدخل حتى ولا خطوة واحدة في الموقع الذي أخذناه بدمائنا وبالخصوص الذين كانوا في (كنزان)

فقد كانوا في أصعب حالة إذ أنهم ثبتوا أمام نار العدو الجهنمية وأوقفوا بكل صعوبة محاولة العدو للدخول في موقعهم وكانوا أحياناً في خطر التقهقر من المضايقة ففي ذلك الوقت كانت الضباط في مقدمة متهم يشجعونهم أمرهم بإطلاق النيران وهم محملين إلى العدو بعيون غاضبة وأفواه مزبدة وكانت الجنود تنظر باستمرار إلى العدو وأيديهم تشتغل بدون انقطاع بزناد البندقية وقد جاهدوا بكل قواهم غير مقتصدين من ذخيرتهم التي كانوا يعتنون بها كثيراً في الأحوال الأخرى

وكانت تزداد النيران شدة وسرعة من الجانبين حتى أن الطيور كانت لا تجد منفذاً لمرورها ولا الحيوانات مخرجاً لاختفاؤها وكانت ألوف الرصاص والدانات تقطع الجو بصوت عال وكأن السماء والأرض كانتا مسرحاً لروايات الشياطين وكنا لا نقدر أن ننتبأ عن انتهاء هذا المنظر وكانت نيران الطوبجية حامية فشرابيلاتها ذات الطبقات الزمانية كانت تتطاير بينما هم تفرق على رؤوسنا قذائف وجارحة رجالنا بدون رافة وهذه الشرابيلات كانت عند فرقتها تثير التراب والرمال أمام وخلف خط النار رافعة دخاناً أسود وأبيض في الحال أما مقاومة طوبجيتنا لمقاومة هذا الهجوم الهائل المستمر كان فوق الوصف وكانوا يضطرون أحياناً إلى تغيير موقعهم وقتياً وكان الفوز لأحد الفريقين على الآخر مجهولاً إذ أن قوات العدو كانت تتقوى من وقت لآخر بجنود جديدة وكانوا يكررون الهجوم مرة بعد أخرى كما أننا كنا نخطئنا جزء من أمدادنا وزيادة على ذلك أرسلت بلوكات عديدة من الطوبجية الثقيلة (ذات المدافع الكبيرة) من (بانثو) إلى (هوانجتشوان)

و(تاشانجتون) وضواحيها وأيضاً وضع قسم طوبجية البحرية الثقيلة في (شا كوهو) في الجنوب وازيادة القوة في كل من الفريقين كان كل منهما يريد افناء الآخر وكان القتال يزداد حمية واستمر دوى المدافع والبنادق من الفجر الى المساء ومع ذلك فأنها لم تقل بعد هذا الوقت وكأن العدو كان بتأثير نيرانه الحامية يستفيد بالهجوم علينا تحت ستارها ولكن كلما يزداد القتال حمية يزداد انتباهنا وكنا نعمل في كل وقت لانها ز فرص عمل هجومات تعرضية شديدة وكانت أشعة الشمس الغاربة الحزينة تضيء منظر الميدان الكثيب مع أفق رمادي غاسق الذي كان يزيد المنظر انقباضاً وكان هذا الحزن ممزوجاً بتشوقنا لمعرفة نتيجة يوم القتال هذا وهل تنقضي المحاربة اليوم بدون نتيجة ؟ كلا بل العدو كان لا يريد أن يوقف القتال عند مجيء الليل بل بالعكس كان مصمماً على عمل هجوم عام علينا ايلاً ولذا استمر على إطلاق النيران من الصباح الى المساء حتى يتعب أجسامنا وبفنى ذخيرتنا ولكننا كنا عارفين فكرتهم هذه ولذا بتنا الليل كله بزيادة احتراس وتيقظ

وكما كنا ننتظر ابتداء جميع خط العدو في التحرك متأخراً في الليل محاولاً أن يضرب (كنزان) ويأخذ المحل بضربة واحدة هائلة وقد أتوا علينا بغضب وتغيظ وكانت سونكيانهم تلمع في الظلام الحالك كانعكاس الشمس على الثلج وكان لصربخهم (وولا) صوت كزئير المئات من الحيوانات المفترسة وهنا حان الوقت لنديقهم شدة بأسنا فابتدأنا نمطر عليهم نارا حامية وكنا متحققين أن العدو سيهزم ولا محالة أمام هذه النار الحامية وبذلك كان صراخ (وولا) يقل وضوء سيوفهم قد خفي في الظلام وأخيراً رجع جميع

الخط الى السكينة التامة حتى صرنا نسمع الحان الحشرات داخل الحشائش
وعويل الروسيين الجرحى المتروكين في الميدان وكان في السماء غيوم عالية
وواطئة تهددنا بالمطر في أى وقت أما عيوننا فأمرت تنطه أو اثنتين رغما
عنا على اخواننا الذين قتلوا في الموقعة

وعند ما جمعت الاستعلامات فيما بعد وجدنا ان عدد الروسيين الذين
بدأوا الهجوم مبكرين في الصباح كانوا نحو الالف تقريبا ثم ازدادوا تدريجيا
حتى صاروا خمسة آلاف وأخيراً صاروا زيادة عن عشرة آلاف وزيادة على
ذلك كانت بعض بواخر مدغمية العدو تظهر عند شاطئ (لوانجواتيانج)
وتطابق نيرانا بشدة على وسطنا وجناحنا الايسر ومنع هاتين القوتين البرية
والبحرية الكبيرتين العاملتين معا لم يتم العدو غرضه وكل حيلة ومكيدة لم
تنجح نحونا ويظهر أنهم بعد هذه المحاولة الرابعة الاشد مماسبتها جميعا فقدوا
كل شجاعة وعشم اذ أنه لم يحصل بعد ذلك أى هجوم على (كنزان) بل
الشيء الوحيد الذى استمروا فى عمله هو استكشاف معسكرنا واطلاق
نيران بطيئة ليلا ونهاراً مصحوبة ببعض مهاجمات ليلية وذلك لحماية وستر
الاعمال الدفاعية التى كانوا ينشئونها بغاية السرعة على طول ارتفاعات
(تايشان)

